

# الإسلام في الزمان والمكان

الدكتور حسين أتاى \*

---

ان تعبيرات تجدد الاسلام ، وتجديد الاسلام والجديد فى الاسلام تعبيرات خاطئة ، لان الجديد يقابله القديم ، وهاتان الكلمتان - بما تتضمنان من المفهوم والمحتوى - ضدان لا يجتمعان . ومعنى التجديد هو ترك القديم جانبا واستبدال شيء آخر به ، تجديد الثوب معناه الاستغناء عن القديم بتركه جانبا وارتداء ثوب آخر جديد مكانه ، وتجديد السيارة يعنى ترك السيارة القديمة وشراء أخرى جديدة . اذن تجديد الاسلام بهذا المفهوم والمحتوى يعنى ترك الاسلام واعتناق دين آخر . ومن ثم يكون تعبير التجديد فى الاسلام تعبيراً خاطئاً بعيداً عن الصواب كل البعد . التجديد فى المنزل يفيد الآتى : تغيير المنزل القديم بشراء منزل آخر جديد ، أو هدم المنزل القديم وبناء منزل جديد آخر مكانه ، أو تجديد المنزل القديم تجديدًا سطحيًا فى ظاهره بتغيير أثائه ، أو طلائه دون المساس بقوائمه وجدرانته . والتجديد بالمفهوم الاول يفيد ويعنى ترك الاسلام والمجىء بدين آخر مكانه . اما التجديد بالمفهوم الثانى فليس يتمخض عن فائدة كبيرة ، لأنه تجديد جزئى طفيف لا يمس الا ما هو ظاهر ، ولا يشمل سوى أجزاء سطحية . ونحن عندما نقول بالتجديد انما ينعكس الى اذهاننا تلقائياً وبطريق التداعى ذلك التقادم الذى هو ضد التجديد . ولقد اخفقت الحركات والأفكار التى تهدف الى التجديد فى العالم الاسلامى

---

★ عميد كلية اللاهيات / جامعة أنقرة

نتيجة سيطرة هذا الفهم على العقول والتحكم فيها فلم تتزوج تلك الحركات والأفكار بالنجاح فى بلوغ غايتها ، ففى الوقت الذى رجحت فيه كفة الظن بالنجاح وبلوغ غايتها خبت وانطفأت جذوتها ، أو بقيت محصورة فى حدود ضيقة لا تتعداها .

والاسلام تجاه هذا الفهم كل لا يتجزأ ، فهو نظام ودين متين لا يتصدع ولا يتغير ، ولا يتأثر بعواصف الزمان والمكان ولا بخطوبهما بل يظل قائما لا ينحنى ، ويبقى صلبا كالفولاذ لا ينثنى ، وعليه فلا هو محتاج الى مخلوق ، ولا هو بحاجة الى أى شيء ، يكفيه أنه موجود فى ذاته .

ان هذه الأفكار جميعها آراء للطائفة المحافظة المتشددة التى تقف ضد التجديد فى الاسلام بالمرصاد . ولأن أصحاب هذه الآراء هم فى مقام الغلبة والقوة فإن المعضلة آخذة فى الاستمرار متأثرة بهؤلاء ، ومع ذلك يجب أن نقر بأن هذه الآراء لها أيضا فائدة فى الحقيقة وواقع الأمر .

أما الأمر الثانى الهام هو : ان على كل مسلم أن يؤمن بأن الدين الاسلامى دين خالد باق ، وانه قد انتهت الأديان ، ولن يأتى دين آخر من بعده ، وانه دين الناس جميعا ، ففى أى مكان وجد الانسان وفى أى زمان كان فان دينه هو الاسلام ، وهو مكلف ومسئول عن الايمان بالاسلام واتباع أوامره والابتعاد عما نهى ، لأن الدين الاسلامى يتضمن أحكاما تتفق وفطرة الانسان وتكوينه وتستجيب لمطالبه وما يحتاجه فى حياته فى أحسن صور الاستجابة . وهذا الايمان ايمان كل شخص ابتداء من أبسط انسان مسلم الى المسلم الذى وصل الى أعلى درجة من الوعي والاستنارة .

وهناك أمر ثالث : وهو الشيء الذى لا يمكن انكاره بأى حال من الأحوال ، ذلك أن الأماكن التى يعيش عليها الناس المنتشرون فـسـوق

سطح الأرض أماكن مختلفة ومتباينة أجوائها ومياهها وشمسها وأقاليمها وسحبها وأمطارها وأحجارها وجبالها ووديانها . وتبعاً لقوانين الطبيعة المتنوعة بهذا القدر يختلف الناس جميعاً في حياتهم وفي أعمالهم وعلاقاتهم الاجتماعية وقوة فهمهم وإدراكهم للأمور أيضاً . وبينما تحدث تلك التغيرات تحدث كذلك تغيرات في أحوال الناس وفي أفكارهم وتصرفاتهم أيضاً في آن واحد عندما يحدث تغير في الزمن ، وليس في المكان مطلقاً إيقاف هذا التغير أو انكار وقوعه . عندما يحدث تغير في الزمن ، وليس في المكان مطلقاً إيقاف هذا التغير أو انكار وقوعه .

وهناك تفاوت كبير في أوجه الفهم والإدراك بين أصحاب النظر الذين يفكرون حول هذه الأمور الثلاثة الأساسية مجتمعة ، ومن هذا المنطق يبدأ الصراع الفكري ويحتدم .

إن الذين تقرر لديهم قبول ما أشرنا إليه آنفاً من أن الإسلام لا يقبل التغير وأنه كل لا يتجزأ ، إن هؤلاء يتخذون الأمر الأول أساساً ليطبقوا الثالث عليه ، بمعنى أنه ما دام قر في النفس بأن الإسلام لا يقبل التغير وحصل به الإيمان فإن أي شخص مهما يكن وأي إنسان كائن من كان وفي أية بقعة من العالم ، إذا أراد أن يسلم ويعتق الإسلام فإنه مضطر إلى أن يتبع أوامر الإسلام ويخضع لأحكامه الثابتة التي لا تقبل التغيير . وهنا يجبر الإسلام الجميع على نسق واحد في التصرف والسلوك عندما يدخل الناس تحت مظلة أوامره ، كأنه قدر مكتوب لا تبديل فيه ولا تحول .

إن ضغط الذين يريدون أن يطبقوا الدين الإسلامي - الذي جاء منذ ( ١٤٠٠ ) سنة خلت والذي أخذ شكله النهائي - حرفياً كما هو ، مسيطر اليوم على العالم الإسلامي . وفي هذا يكمن السبب في عدم تمكن العالم الإسلامي من حل معضلاته في هذه الأيام ، وبالتالي يجب البحث عن أسباب تأخر العالم الإسلامي داخل هذا الاتجاه نفسه أيضاً

فى فهم الاسلام . ان القول بأن نفس هذا الاتجاه هو المشكلة ذاتها ، هو التعبير الصادق عن تشخيص سليم وصادق . ويمكن أن يكون بعض تلك المشكلات التى جاء بها هذا الفهم للاسلام ، هى كالتى :

أ - عدم قدرة المسلمين على القيام بأداء ما عليهم من الأمور والفروض الدينية أداء تاما غير منقوص .

ب - نظرة المسلمين الى دينهم نظرة اللامبالاة بسبب وقوعهم تحت ثقل الصعوبة المصطنعة .

ج - تسلط الحكومات على المسلمين بالضغط والتعسف نتيجة تشددهم ووقوفهم بشدة ضد أحكام الحياة وضرورتها اليومية فى العصر الذى يعيشون فيه ، وجعلهم الحياة عسيرة لا تطاق .

د - بالإضافة الى هذا فان أعداء الاسلام فى الداخل والخارج الذين يستثمرون موقف المسلمين المتصلب المتشدد الذى لا يلين من دينهم ويتخذونه وسيلة وبوقا يستخدمونه فى دعايتهم ضد الاسلام فيظهرونه فى مظهر دين يعوق التقدم ولا يلائم العصر ومطالب الحياة فيه ، هؤلاء الأعداء يصبحون بذلك عوامل فى إرخاء وأضعاف الروابط والتعلق القلبى بالدين والقيم الروحية . لذا فالذى يبدو فى مظهر المسلم الحق ويحسب نفسه متمسكا بأهداب الدين الاسلامى الى حد بعيد هو فى حقيقة الأمر المتسبب فى ظهور طراز من المسلم يتخذ موقفا مضادا للدين ينعكس على أعماله وتصرفاته المخالفة لأساس الدين وروحه ويمكن أن توجد مواطن يوجه اليها النقد والاعتراض فيما لو استخدم هذه الاصطلاحات مثل : البعث من جديد ، استرداد الحياة والقوة ، ميلاد جديد ، أو الاحياء من جديد بدل ( التجدد ) أو ( التجديد ) ، لأن تعبير ( البعث من جديد ) يمكن أن يفهم منه انه أمضى مدة من الزمن كان ميتا فيها . أجل ان ذلك يشعر بأنه كان قد مات وانتهى وهو الآن يبعث من

جديد ويحيى أو ينفخ فيه الروح من جديد . بيد انه لابد من الإشارة الى ان ليس ثمة اصطلاح أو شعار لا يوجه اليه نقد أو اعتراض ، فالقلق من توجيه النقد والاهتمام بملاحظة تفاديه تعوق الانسان من القيام بأى عمل ايجابى . ولذلك ينبغى علينا ان ندع مخاوف توجيه النقد والاعتراض جانبا ونحاول ان نتدارس بالفهم السليم كيف نستطيع ان نجد السبيل الى وضع الحق والصواب امام الاعين بالوضوح المطلوب وما هو الواجب علينا فى هذا الصدد .

وحتى يمكننا التحدث باسم الاسلام ينبغى لنا أن نعرف صفة الاسلام الاساسية وحقيقة ماهيته وغايته وأهدافه بالتحديد ، وحين نقوم بهذا العمل على جانب من الاتقان نجد انه من الواجب علينا بعد ذلك العمل على وضع الاسلام فى مكانه الصحيح اللائق من جهة أسسه وغاياته ومرونتها التى لا تنكسر ، وانه وحيد وسط الكثرة الغالبة ، وكذلك العمل من أجل بيان عنصره الذى لا يقبل التغيير والذى لا ينبغى أن يتغير وسط المتغيرات ، واستيضاح كل ذلك واكتشافه كما ينبغى ، حتى يتحقق له - أى للاسلام - تدفقه عبر الاقاليم والمجتمعات والعصور والاجيال منسوبا بخبره مانحا الحياة فى جريانه . وهذه هى واجباتنا التى ترتسم امامنا فوق الافق الفسيح .

ان الاسلام لا يكفى ان يدخل حياة الانسان فى الجامع فحسب بل ينبغى أن يدخل حياته فى الدائرة والسوق أيضا . وبتعبير آخر انه لا يكفى ان ينحصر الاسلام فى دائرة تنظيم العلاقات بين الانسان وبين ربه فقط بل يجب أن يتمكن من مباشرة دوره فى تنظيم علاقات الانسان بالمجتمع والدولة وكافة الناس الآخرين . لقد وجب السير قدما فى طريق فهم هذا الاتجاه فهما صحيحا بشكل يمكن أن يتحقق تطبيقه فى

مجال العمل . ومن أجل الوصول الى هذه الغاية نوصي بالمبادئ  
المنهجية والطرق الآتية :

١ - هل الاسلام دين فرد من الافراد ، هل هو دين أسرة ، أو دين  
قبيلة ، أو دين أمة واحدة من الأمم أم انه دين الأمم كلها ودين البشرية  
جمعاء ؟ يؤمن المسلمون جميعا بانه دين البشرية كافة . اذن لابد وأن  
يفهم الاسلام على انه دين يحوى جميع المسلمين ويشملهم ، ويترتب  
على هذا توسيع مرمى البصر وضبط زاوية الرؤية على أوسع نطاق  
وأبعد حدود نظرا لاتساع الساحة التى يشملها الاسلام ، وهذه القضية  
ينبغي تناولها على انها الغاية .

٢ - هنا يلزم علينا أن نجيب على سؤال ما هو الاسلام ، ومن  
تعريف الاسلام سيتضح لنا كيف ينبغي أن يفهم الاسلام . وكما أن  
تعريفه سيحقق لنا تطبيق خط فهمه كذلك سيبين لنا وجهة فهمه ومبادئ  
تطبيقه .

إذا اجيب على سؤال ما هو الاسلام ، بانه دين قد أوحى الله  
تعالى به الى رسوله صلى الله عليه وسلم يكون بذلك قد عرف الاسلام  
باعتبار منبعه . وإذا قيل ، جوابا على سؤال ما هو الاسلام ، بانه نظام  
أكثر توافقا وملائمة مع فطرة الانسان ، وأنه لا يقع فى أى مكان تحت  
تأثير سلوك مناقض لقوانين الخلق والوجود ، أو انه عبارة عن أحكام  
ومبادئ يمكن للجميع ان يطبقها فى سهولة ويسر . اذا قيل هذا ، فانه  
يكون بذلك قد عرف الاسلام باعتبار ماهيته وطبيعته ، وليس بين هذه  
التعريفات الثلاثة تناقض لأن كل واحد منها يكمل الآخر ويتفهمه .

٣ - من الواضح والملموس أن المسلمين فى ضيق وفى كربة لا مخرج  
لهم منها بدرجة لا يمكن انكارها . لقد انقسم المسلمون فيما بينهم قسمين  
كل منهما يناقض الآخر فى تلمس الاسباب التى جرتهم الى هذا المستنقع

الذى لا يوجد منه اليوم مخرج ، ويمكن للمسلمين ان يخرجوا من هذا المازق لو ان هذين القسمين القطبيين المتناقضين يحاول كل واحد منهما ان يفهم الآخر ، وحصل بينهما الوفاق أو الاتحاد . هناك طائفة تؤمن بتقليد السلف وبصححة اجتهادات العلماء السابقين وأفكارهم وبالتالي تؤمن بعدم إمكان تغيير تلك الاجتهادات والأفكار أو تبديلها ، فهى - أى هذه الطائفة - تشتترط تطبيقها حرفيا كما هى وبلا نقصان ما دامت لا تقبل تغييرا أو تبديلا ، وعند تطبيق تلك الاجتهادات والأفكار بهذه الصورة سوف تصلح الأمور وتحل المشاكل من جهة ، ومن جهة أخرى لن تكون هناك حاجة الى اجتهاد آخر . أما الطائفة الثانية التى تناقض الأولى فهى تقاوم التقليد وتعارضه بشدة . فهؤلاء ( الطائفة الثانية ) يدعون الى اجتهاد جديد فى الأهداف والأحكام المرئية والفرعية على السواء ، ويرون ضرورة اللجوء الى هذا الاجتهاد . وهنا تجدر الإشارة الى أن أهداف كلتا الطائفتين المتناقضتين وغاياتهما هى أن يحييا الاسلام كاملا غير منقوص وأن تطبقه فى مناحى الحياة .

#### ٤ - الدين - الثقافة :

لكى يظهر فى ساحة الاسلام التجدد والفهم الجديد لابد من قبول ضرورة فصل الثقافة الدينية عن الدين . هذا ما نقره ونقوله بهذا التعبير الدقيق الواضح . فما دام هذا الفصل لم يجد طريقه الى التحقيق فإن أية خطوة تخطى فى طريق أى نوع من أنواع التجدد لا تعدو ان تتجاوز نطاق الوصفين أو الأمرين الآتيين ، ونو بلغت تلك الخطوة غايتها ، وهذان الوصفان هما : بقاء التجدد عند حدود الجزئية وكونه موضعيا . ولعل تحقيق هذا الفصل يبدو غير ممكن فى الأديان الأخرى ، لأن منبع الكتب المقدسة لتلك الأديان أيضا هو الثقافة . والذى أقصده هنا بالثقافة هو المعرفة التى هى ثمرة الانسان ونتاجه والتى مصدرها الانسان نفسه . اما ما ورد فيها ( أى فى كتب الأديان الأخرى ) من الأقوال التى يدعى أن مصدرها هو الله هى قليلة جدا ، والقسم الأكبر منها لا ينطبق

الا بالغموض والانغلاق . اما فى الاسلام فان فصل الدين من الثقافة يتم فيه بسهولة ويسر . لأن القرآن الكريم الذى نزل من عند الله تعالى ، والذى هو مصدر الدين ومنبعه ، هو كلام الهى وليس فيه أى نوع من أنواع الخطأ أو الدس ، وهو - أى كلام الله - غير كلام الانسان وغير نتاجه كما هو معلوم . وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم التى هى شرح لكلام الله تعالى وإن كان قد ظهر فيها بعض التشابك إلا أن تنقيتها ممكن جدا على ضوء القرآن الكريم . ان الدين عبارة عن المبادئ الأساسية والأحكام والأوامر والنواهي التى ذكرت فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف . أما الثقافة - نقصد بها الثقافة الدينية على وجه خاص - فهى أفكار وأحكام وأقوال لأولئك الذين يملكون التحدث باسم الدين والذين يبينون أفكارا ويستنبطون أحكاما من الاصول والمصادر الدينية . وبذلك يمكن أن يتم فصل العنصر الالهى عن العنصر البشرى - أى فصل الدين عن الثقافة - فى الدين الاسلامى . فالعنصر الالهى يستمر عبر حدود الزمان والمكان يتجاوزها . أما العنصر البشرى فهو مرتبط بالزمان والمكان ومحدود بحدودهما ويذتهى حكمهما ومجاله عند الوصول الى نهاية حدودهما . ومن أجل ذلك فقد ورد فى احدى مواد المجلة « ان الحكم يتغير بتغير الزمان » . والمكان أيضا داخل فى نطاق التغير . بيد أن الزمان يتغير تغيرا مطلقا وبالضرورة عند تغير المكان . واذا تحقق تبنى فصل الثقافة عن الدين بوجه عام ووضع ذلك موضع التطبيق تكون المسألة قد وجد لها الحل من أساسها . وبذلك يكون جميع الأقوال والأفكار والاجتهادات التى بقيت خارج نطاقى القرآن والحديث - تكون قد نقلت خارج ساحة الدين الى ساحة الثقافة الدينية .

وهذا هو الشرط الأول لتحقيق التجدد ، وهو الطريق الذى يلزم البحث عنه وحوله بحثا علميا . ونحن قد بينا هذا فى مقدمة فلسفة التشريع الاسلامى . وكان الهدف من الفصل بين الشريعة والفقه وتقييم كل منهما على حده - هو طرح فكرة فصل الدين عن الثقافة - على المساحة . ان أقوال الصحابة فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم



أيضا - لا سيما الخلفاء الأربعة - واجتهاداتهم ، والأفكار التي قالوها والاجتهادات التي قام بها الأئمة والمجتهدون سواء من أسس منهم مذاهب أم لم يؤسسوها ، وكذلك العلماء الآخرون جميعا أن كل ذلك ساهم في ظهور وإيجاد الثقافة الدينية . والفقه يشكل قسما لهذه الثقافة الدينية . ويمكن أن تذكر الفوائد التي تعود من فصل الدين عن الثقافة كالآتي :

(أ) أنه كلما زاد وضع الشروط من أجل تكوين شيء ما وعمله زادت بنفس القدر الاعاققة في سبيل تحقق وجود ذلك الشيء وحدد بحدود . ( والعكس بالعكس ) وكلما قلت شروط تحققه كان وجوده ميسورا وبروزه سريعا وساحته فسيحة .

(ب) أن الاعتماد على القرآن والحديث شرط في طرح فكرة اسلامية أو رأى اسلامي ، فإذا اشترط في تلك الفكرة - بالاضافة الى شرط الاعتماد على القرآن والحديث - الاعتماد على أفكار واجتهادات الصحابة والأئمة والمجتهدين فإن ميادين أفكار رجال العلم في العصور التالية تكون فيما بعد من الضيق بحيث تتحول بمرور الأزمان الى عنق زجاجة ضيقة ، وعندما ينسد ذلك العنق يحدث في المجتمع تصدعات وشروح كبيرة ثم يتحول الوضع فلا يعرف من أين يبدأ في العمل .

(ج) إذا اضطر كل جيل أن يراعى شروط الجيل السابق عليه الذي ورثه فإنه يفقد بذلك حق الحياة بنفس درجة المراعاة . ولكن أى جيل من الأجيال إذا لجأ الى القرآن والحديث مباشرة ودون أن يلجأ الى اشتراطات وقيود الجيل أو الأجيال التي سبقتة فإنه يمكن أن يسلك بذلك طريق الرؤية والفهم على ارحب أفق وأشمل نطاق الى فهم الاسلام ووعيه . والرؤية الرحبة هنا تتحقق كلما تحقق الابتعاد عن دائرة الأحكام والأفكار الدخيلة على الدين التي مزجت مع لبه ، وتنقية الدين وإبراز صفائه ونقاؤه . كما أن ماء الينبوع تختلط به مواد غريبة عند نقله بواسطة

المواسير والجداول الى الأماكن البعيدة كذلك الدين يواجه تأثير تربية الناس وتعليمهم وبيئاتهم وأقاليهم فى قوة فهمهم وإدراكهم وفى ذكائهم وإذا كرتهم عند مرور الدين من خلال قواعد إذهانهم وعقلياتهم ، وعليه فإن الأحكام والضرورات الطبيعية والشروط الاجتماعية التى يحياها الناس تعطى فهم الدين شكلا من الأشكال وتضعه فى قالب من القوالب . وكما ان الناس يأخذون الماء حسب ما بأيديهم من الأوانى كذلك يفهم كل أمام أو عالم الدين ويستوعب حسب ما لديه من مستوى الفهم والإدراك والاستيعاب . إذن فمن الضرورى أخذ الماء من ينبوع وعمل قناة جديدة له . ان قبول مجيء مجدد مصلح فى التعاليم الإسلامية فى كل قرن من الزمان انما يعبر عن هذه الحقيقة ، بمعنى انه يقتضى الذهاب الى ينبوع الصافى فى أوقات معينة أو حين ظهور حاجة ماسة اليه ، ثم تغيير القناة حتى ينقل الماء الصافى العذب الى الناس بقدر الأماكن .

## ٥ - الاجتهاد - تطبيق الاسلام :

يبدو ان تعبيرات : احياء الاسلام ، بعث الاسلام من جديد . « تعبيرات لم تلق ردود فعل حادة . ويمكن ان يرجع تعبير حركة الحياة فى الاسلام الى أن الاسلام يحوى ما تحويه كلمات الحياتيات من الطاقة والدوام . والحقيق بالذكر ان تعبيرات « التجدد » أو « التجديد » والقيام بعملية التجديد أو « حركة التجديد » كل هذه التعبيرات قد قوبلت بردود فعل عنيقة . وكما أوضحنا فيما سبق فان هذا التعبير يفهمنا بان الاستبدال هنا يعبر عن وضع الجديد مكان القديم . ومما يجب أن نضيفه هنا أن تعبير الاجتهاد أيضا ما زال يقابل رد الفعل « بينما الواقع ان الاجتهاد كان ذائعا جدا بين المسلمين الأوائل بمن فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه ، فالمذاهب كلها تعتمد فى الأصل على أساس الاجتهاد . اذ الذين يقفون ضد الاجتهاد اليوم ويعارضونه هم الذين يعتبرون الاجتهادات القديمة هذه مشروعة ومقبولة جدا .

والطبقة المحافظة من المسلمين تسيير وراء الحفاظ على القديم بالنواجد كما هو ، بما تحمل الكلمة من معنى ، أى أن مهمتهم ووظائفهم وظيفة الحارس ليس الا . فما كان العمل قائما به وعلى أى نمط كان يجرى به قبل ألف عام يجب أن يقوم العمل اليوم بنفس الشيء وعلى نفس الشكل والنمط فى رأيهم . وهذا هو المقياس والمحك فى كون الانسان مسلما محافظا فى نظر هذه الطبقة .

ان المعنى الاصطلاحي الذى أعطى للاجتهاد لم يكن موجودا فى صدر الاسلام - أى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين . وكان المعنى لكلمة الاجتهاد فى مفهوم الجيلين الأولين هو المعنى اللغوى لها وهو اعمال العقل واجهاده . يقال لكل عمل ذهنى اجتهاد .

فالمجتهد باعتبار ومفهوم هذا المعنى هو الذى يبذل جهده فى اعمال الفكر . وهكذا ، فان من عارض فكرة الاجتهاد فقد عارض التفكير ووقف ضده ، ولذا فمن المشاهد وسط هذا الجو أن التفكير يخبو وينطفئ عندما يلقى الاجتهاد المعارضة ومن يقف ضده . اذن فان التجدد فى الاسلام ، أو حركة الاحياء له لا يمكن تحقيقها فى غياب الاجتهاد ، اننى اريد أن أطرح اصطلاحا حديثا أسميته « تطبيق الاسلام » تهريا من انتباه معارضي طبقة المحافظين من المسلمين . ومما لا شك فيه أن تطبيق الاسلام لا يمكن أن يتحقق بدون الاجتهاد . ان الاجتهادات التى ظهرت وتحققت منذ اللحظات الأولى من قيامها وإلى يومنا هذا لم تكن الا اعلاما وابلاغا للأحكام التى كانت توافق الناس فى ذلك المكان وفى موقف الاسلام وظرفه ذلك . كما ان الاجتهاد فى زمن الصحابة كان هو تطبيق الاسلام حسب شروط ذلك الزمن وتطلباته ، فان الاجتهاد فى زمن الأمويين والعباسيين والسلاجفة والعثمانيين كان هو تطبيق الاسلام تطبيقا يوافق ظروف تلك الأزمنة ومتطلباتها ، ومعنى تطبيق الاسلام فى زمننا هو فهمه فهما يوافق ظروف زمننا

ومتطلباته ويلائمه . والقيام باجتهد جديد يتم بتوفيق الاستسلام  
وتفسيره عن طريق الاجتهاد ، وتطبيق الاسلام تطبيقا يلائم شروط  
زمننا ومتطلباته واحكامه من خلال ذلك الاجتهاد مع استخدام العقل  
وتشغيله فى سبيل ذلك .

هناك قاعدتان هامتان متعلقتان بالاجتهاد : الاولى ان الاجتهاد ليس  
ملزما - أى مجبرا - أحدا من المجتهدين ، والثانية : ان الاجتهاد لا يبطل  
اجتهادا آخر ، وبالنظر لهذه القاعدة الثانية لا يمكن ان يجبر اجتهاد  
مجتهدا لآخر الى اتباعه . فالمجتهد مكلف بان يفعل حسب فكره واعتقاده  
ما دام لم يغير فكره أو اعتقاده ، أما اذا غير فكره يضطر حينئذ ان يتبع  
فكره الثانى أى الأخير ، لأن فكره حينئذ هو فكره الثانى . وتظهر من  
هذا نتيجتان :

الأولى : ان الاجتهاد الذى سبق أن قام وتم فى الزمن الماضى ، هذا  
الاجتهاد لا يمنع قيام اجتهاد آخر لاحق فيما بعده ، حتى ولو أن اللاحق  
لم يكن قد قام بالفعل لعدم وجود أمر يدعوه لقيامه أو يضطره الى  
ذلك .

الثانية : ان الاجتهاد الثانى يمكن أن يكون نقيض الاجتهاد  
الأول ويمكن ألا يكون ذلك حتى ولو كان الثانى نقيض الأول فانه - أى  
الثانى - لا يبطل الأول . ولو حدث ان صار الاجتهاد الثانى من القوة  
بحيث يفسخ الأول لكان الأول مانعا قيام الثانى فى حد ذاته .

وإذا أخذ فى الاعتبار الأساس الذى يقول : ان الاجتهاد لا يفسخ  
الاجتهاد طبقا للقاعدة الأولى فان الاجتهاد الثانى لا يبطل ولا يفسخ  
الأول ، وان الأول يفسخ المجال لقيام الاجتهاد الثانى . وبعد اثبات هذه  
الأسس المتعلقة بالاجتهاد وبيانها نقول أن الادعاء بان الاجتهاد لا يمكن  
أن يقوم فى جميع الأزمنة ، هذا الادعاء يكون مناقضا لفلسفة

الاجتهاد ومبادئه الأساسية . ونظرا الى ان منع الاجتهاد نفسه يعتبر اجتهادا ايضا ، فان هذا لا يلزم الآخرين بناء على القاعدة الاولى ، ولا ينطبق عليهم بالضرورة . وبناء على القاعدة الثانية فان القائل بضرورة قيام الاجتهاد ليس فى امكانه افساد الاجتهاد أو ابطاله .

#### ٦ - الأسلوب فى تغيير حكم من الأحكام :

ان تغيير الحكم الذى صار ملكا للأمة وتبنته وطبقته فى حياتها على امتداد العصور ، أو العقيدة التى رسخت فى كيان الأمة عبر القرون المنصرمة أمر صعب للغاية ، حتى ولو كان ذلك سببا فى مضرة الكثيرين وتحطيم عزتهم النفسية أيضا ، فالجميع يرى بان الخضوع له - رضوا أم لم يرضوا - . ولأن الحكم معروف بأنه حكم دينى فان قبول التغيير فيه أمر عسير جدا حتى من طرف الشخص الذى يقع عليه الضرر عن تطبيقه أول ما يقع . وهناك من يرفض القبول بتغييره رفضا باتا . ومن أجل ازالة حكم عفا عليه الزمن ، وقبلناه بحسن النية ، لابد من السير على هذه الطرق التالية :

أ - يجب ، قبل أى شيء آخر ، البحث عن مصدر هذا الحكم ، اهو حكم شرعى أم حكم أخرج بالاجتهاد وبتعبير آخر هل هو حكم يعتمد على آية صريحة العبارة من القرآن أو يستند الى حديث صحيح أو هو حكم فقهى . يجب التثبت من هذا علميا .

ب - يجب البحث والتدقيق حول مقتضى الحكم أى سببه وحكمته . سواء كان الحكم حكما شرعيا أو فقهيا ، وكذلك تقييم ظروفه وشروطه والتثبت من ذلك .

ج - انه يجب التدقيق والتقييم حول تطبيق الحكم ، كيف كان الحكم يطبق . وما هى الموانع والاضرار ، والقوائد التى ظهرت اثناء

تطبيقه خلال المدة التى مضت منذ أن وضع الحكم موضع التطبيق الى أن بدأ التفكير فى المناقشة من أجل تغييره . وبذلك يفهم فهما جيدا ما اذا كان الحكم قد أدى وظيفته المرجوة أم لا .

د - يجرى البحث فى مصدر الحكم الجديد وما يقتضيه وسببه ، ومطابقته للمبادئ الأساسية الأخرى للدين ، ويتم التثبت من ذلك . ثم توضع فائدته وحكمته وصحته أمام الاعين بصورة جلية .

هـ - بعد ذلك يصبح الحكم مكتسبا الوضوح وصفة القطعية ثم يعلن عنه . وبذلك يكتسب الحكم الجديد صفة المشروعية والاحقية فى ضمير الأمة ووجدانها فيلقى القبول ويكون تطبيقه محققا وبلا صعوبة أو تعب ، ويجوز ألا يكون ثمة ضرورة لمثل هذه الاجراءات فى بعض احكام القوانين ، لأنها غير متعلقة بالعقيدة والجانب الايمانى ولأنها متروكة للمجتمع من أول الأمر . أما فى الاحكام الدينية فى نظر الناس فالأمر يختلف ، نظرا لأن الحكم فيها له علاقة أيضا بالعقيدة ، فالتغيير فيه يحتاج احتياجا قويا الى ما يقتضى التغيير ويؤيده . لقد فشل تطبيق الاحكام فى الأمور التى لم يعد لها هذا النوع من المقتضى ، بل أريد تطبيقها على الأمة بالقوة المادية للدولة والحكومة ، فحيد بذلك عن طريق النجاح . هذا ما حدث فى الدول الاسلامية قديما وحديثا ، تلك الدول التى كانت تسعى الى أن تصبح دولا اسلامية عصرية . وتدخل ضمن نفس هذه الطائفة بشكل أو بآخر ، الدول الاسلامية كلها .

#### ٧ - الخصائص الأساسية للشرعة :

يفهم من قول ( الشريعة ) فى الاسلام الاحكام العملية والأوامر والنواهى بوجه عام . لنقبل ان هذا هو الصحيح . والذي يبرز معالم الشريعة الاسلامية ويوضح خصائصها انما هو القرآن والحديث . وهذا ما يؤمن به المسلمون ويجزمون الاعتقاد بأنه الحق وليس بينهم أى خلاف فى هذا . ونستطيع أن نلخص هذه الخصائص بما يأتى :

أ - لا يوجد فى الشريعة الاسلامية الاكراه ، لقد وضعت فيها الأحكام والأوامر والنواهى فى نمط يستطيع الانسان أن يطبقها فى سهولة ويسر . فالشريعة فى الاسلام لا تدخل طبيعة الانسان ولا استعداداته الفطرية فى اغلال الشدة والعسر ولا تهدف ايجاد صعوبة ما ، فهى موجهة دائما نحو السهولة واليسر فى الأمور .

ب - الأحكام والمبادئ الأساسية التى جاءت بها الشريعة الاسلامية عامة ، عدا أمور قليلة جدا ، ويمكن أن يقال انها فى العلاقات والمناسبات العائلية - فقد وضعت الشريعة أحكاما تفصيلية . وفيما عدا ذلك من الأمور فقد وضعت لها أحكاما عامة وشاملة متسعة . وهذه الأحكام العامة لها من المرونة ما يجعل تطبيقها سهلا وميسورا فى كل زمان ومكان .

ج - ان الأحكام التى وضعت بينت أسبابها اما مباشرة أو بطريق غير مباشر . وعندما تعرف أسباب الأحكام يسهل بعدها أن يحكم بذلك بالحكم أو لا يحكم به . فان كان السبب موجودا فالحكم أيضا يكون موجودا ، واذا زال السبب زال الحكم . وهكذا ، فالأمور تترك لتثبيت وجود السبب أو عدم وجوده .

د - ان احدى مزايا الشريعة الاسلامية الهامة هى انها وضعت أحكاما قليلة جدا . ولهذا فائدتان : الأولى : عدم ادخال الانسان تحت وطأة الأحكام الكثيرة والمسئوليات الثقيلة حتى لا تكون سببا فى شقاء الانسان ، وأن يقضى حياته المادية والمعنوية فى قلق واضطراب دائمين نتيجة لشعوره بأنه قد أصبح أثما حين ترك حكما ، أو لم يجد فى نفسه قدرة على القيام باداء ما وجب عليه أدائه . أما الفائدة الثانية : اعطاء الانسان والمجتمع الحرية والمرونة لكى يتصرفا بالمشكل الذى يختارانه وفى أن يسعى الى عمل ما يريانه مفيدا عن الأشياء التى فيها ضرر .

ونظرا لأن ظروف الحياة ، وأحكامها تتغير فى كل زمان ومكان

فقد تركزت حرية الحركة والتصرف للإنسان في تنظيم أمور حياته الدنيوية من مؤسساته وأعماله تنظيما جيدا بحيث يصل به الى وضع مفيد له . ولذلك من الخطأ أن يقول قائل ان الشريعة لا يوجد فيها كذا وكذا . وإن يعلن ذلك عنها كان هناك نقصا في الشريعة الاسلامية ، بل ترك ذلك فضل من أفضال الشريعة ، أو أنه فضيلة لها . فليعمل الانسان بالحكم الاجتهادى حينما يريد ويحتاج اليه ، وليغيره وقتما يشعر بعدم حاجته اليه . وهذا أساس ضرورى بالنسبة لبعض المسلمين المتمسكين بالمحافظين . انهم يرون أخطاءهم عندما يواجهون الأحكام والمؤسسات الجديدة قائلين بأنها غير موجودة أصلا في الاسلام .

هـ - ولقد وجد - بالإضافة الى ما ذكر - في الشريعة الاسلامية مرحلة الاعداد من أجل ترميخ حكم من الأحكام وتثبيت مؤسسة من المؤسسات ، وجعل الناس يتقبلونها بقبول حسن . وتسمى هذه الطريقة طريقة التدرج وأسلوب السير نحو الغاية والاقتراب منها خطوة تلو خطوة . وبعض المتأخرين من المسلمين يقيمون هذا تقييما خاطئا بعيدا عن الصواب ، ولا يزالون يقيمون بنفس التقييم الخاطئ :

ان هذا الأسلوب التدريجى كان جاريا فقط وقت أن كان القرآن ينزل فيه . وكان القرآن ينزل قليلا قليلا ومجزأ فيثقل اتباع الأحكام إلا شيئا فشيئا ، لأن الوثنيين لم يكونوا يقدرون على ترك عاداتهم وأعرافهم وتصرفاتهم وسلوكهم القديم التى تعودوا عليه من قبل . ولذا فإن وضع أسس الشريعة بطريقة تدريجية جاء مطابقا للحكمة . أما وبعد أن تم وضع الشريعة ككل كاملة مكتملة فانها تلقى القبول وتوضع فى الاجراء والتطبيق بتمامها أو أنها ترفض برمتها . ومن رفض جزءا من الشريعة يكون قد رفض الكل .

ان جهة الفساد فى هذا الرأى هى : اذا كان ذلك كذلك فلماذا نعرفنا القرآن اذن من أوله الى آخره مثل هذه المراحل . المثال الذى



يذكر كثيرا والذي يفهم فهما جيدا بكل وضوح فى هذا الموضوع هو  
تحريم الخمر ، يعرف أولا كثرة اضراره ، ثم يمنع أداء الصلاة فى  
حالة السكر ، وفى المرحلة الأخيرة يحرم الخمر تحريما تاما . وما دام  
هذا التدرج ليس له ناحية تشكل بها نموذجا للمسلمين ، اذن كان يكفى  
أن يبلغ أمر تحريم الخمر تبليغا فحسب . فما دامت المراحل جميعها  
قد ذكرت وابلغت اذن يجب على المسلمين كلهم أن يأخذوا درسا من  
ذلك . وعليه ، يكون هذا نموذجا للمسلمين فى أن يستخدموا هذا  
الاسلوب التدريجى فى كل زمان وفى الموقع الذى يكون استخدامه  
ضروريا فيه . وقد أوحى بتطبيق هذا الاسلوب العلماء الكبار باصرار  
وتأكيد ليس الى المسلمين الذين دخلوا الاسلام حديثا فحسب بل أوصوا  
بضرورة تطبيقه على المسلمين وعلى الشباب المسلم على السواء .

لقد نفخ الله فى طائفة من خلقه الروح وأعطى لها صفة الحياة  
وانقسمت الموجودات باعتبار هذه الصفة الى صنفين اثنين ، صنفه  
الاحياء والاخر صنف الجمادات . والكائن الحى وجد من عنصرين  
اثنين منفصلين ، أحدهما مادى ليس فيه حياة ، ولكنه يرى بالعين  
ويلمس باليد ويشم ريحه ، والعنصر الثانى هو الروح والحياة . والمادة  
تعيش وتبقى حية ما دامت العلاقة بين المادة والروح مستمرة فى توافق  
وانسجام . ويشكل الانسان النوع الارقى والأعلى لهذه الكائنات الحية .  
والانسان له روح وله المادة وله الجسم . والذي يحرك مادته ويجعلها  
حية هو روحه وحياته ، الروح لا تتعب ولا تنام ولا تموت . والمادة  
عندما تتعب تستريح وتنام ، ثم فى النهاية تفنى وتتبعثر يوما  
وتنتهى . هذه هى حياة الانسان ، بل هذا هو الكائن الحى الذى  
نسميه الانسان . وكما أن الكائن الحى يخلد الى الراحة حينما يعتريه  
تعب ويستغرق فى نوم عميق ، ثم يسترد بعد ذلك طاقته وحيويته  
وقوته ، كذلك الوضع بالنسبة الى الاسلام ، فيجب النظر الى حال  
الاسلام والتفكير حوله داخل اطار هذا المثال . انه بعد أن شوهده فقدان  
الاسلام قوته وقدرته أخذ البحث يجرى حول ما اذا كانت هناك بوادر

للمحاولات الجادة فى استرداد الاسلام حيويته وحركته النشيطة أم لا .  
ويمكن للانسان أن يعطى تقييما للأشياء من حيث المعنى والادراك  
قياسا على نفسه ( نظرا لما بينهما من علاقة التشبيه ) وبذلك يسهل  
فهم الأمور ، كما يسهل افهامها وايضاها . ويتقرب الناس - سواء فى  
ذلك المسلم وغير المسلم - الصحو والانتفاضة فى الاسلام بانتباه واهتمام  
بالغين . يتقرب البعض منهم رغبة فى حدوث الانتفاضة الجديدة فى  
الاسلام ، والبعض الآخر يتقرب رغبة منه فى تلك الانتفاضة  
المرتقبة .

لنعد الى ضرب المثل بالانسان مرة أخرى ونقول : أن ما يتعب وينام  
ويستريح فى الانسان هو مادته وبدنه ، والذي لا يشعر بذلك كله هو روحه .  
كذلك الاسلام والمسلمون اذ اننا اذا سلمنا ان الاسلام نفسه هو المعنى  
والروح فالمسلمون يشكون المادة لهذه الروح . فمادة الانسان - التى يوجد  
بداخلها الاسلام على انه الروح - قد تعبت ثم استراحت ونامت ، اذن الذى  
مستيقظ ليس هو الاسلام نفسه بل هم المسلمون ، ويتعبير أدق وأشمل أن  
الانسان الذى آمن بالاسلام ديناً هو الذى يجب عليه أن يستيقظ . والاسلام  
لا يستطيع أن يؤدى وظيفته المطلوبة منه اذا كان المسلم فى غفلة عنه  
وأهمله ، وان كان المسلم قد أضعف علاقته بالاسلام ، فلا يمكن اليقظة فيه  
هذه الحالة أن يؤدى الاسلام وظيفته مع انه يملك الحيوية والنشاط والطاقة  
بمثل الانسان وروحه تماما ، فان الانسان عند ما ينام لا يستطيع مطلقا  
أن يقوم بوظيفته مع أن روحه مستيقظة لم تنم . وكذلك الاسلام فانه  
لا يستطيع أن يقوم بدوره اذا نام المسلم عنه ولم يابه به ، كما ذكر . واذا  
أراد المسلمون أن يظهروا تحركا ذا نشاط حيوى وصحو بارزة فان هذا  
لا يمكن أن يتحقق الا بالاقتراب من الاسلام وتقوية علاقاتهم به - أى  
علاقات المسلمين بالاسلام - . فمهما يكن ضوء المصباح قويا فان الانسان  
لا يمكن له أن يستفيد منه ما دام بعيدا عنه ، ولا يمكن له أيضا أن يرى  
الحقائق الواضحة وضوح ضوء المصباح عند اقترابه منه الا به . ومن  
أجل هذا فان أداء الاسلام دوره فى الإضاءة والانارة انما يعود الى

رغبة الذين يريدون أن ينالوا نصيبهم الاوفى من نوره وضيائه ، وإلى بعد انظارهم فى فهمه وسعيهم الدؤوب فى سبيل ذلك . وهذا انما يتحقق باقتراب الانسان من الاسلام على ضوء ما بيده من المصباح ، وفى هذه الحالة وحدها يكون قد حقق النجاح وناله ، أما المصباح الذى بيد الآخر فقد ثبت بالتجربة عدم جدواه .

## ٨ - علاقة الاسلام بالحياة :

ان كل عقيدة من العقائد انما تقوم من أجل التأثير على مجرى الحياة والظروف المعيشية التى يعيشها الانسان ، ومن أجل تغيير تلك الظروف وأسلوب الحياة ووضعه فى نظام آخر . وهذا عمل مقبول وايجابى بالنسبة لجميع الاديان ، وهو أكثر قبولا وايجابية بالنسبة الى الاسلام . ولهذا لا ينوى الاسلام أن يسجل ، مؤيدا بالنصوص المقدسة ، فكرا أو حكما أو أوامر مجردة غير ممكن تطبيقها ، ثم ربط الانسان بهذه الامور وجره الى مواطن تعصب أعمى وإلى عقائد جافة متحجرة تحيط بها الخيالات وتكتنفها المتاهات وتخفقها الاغلال الفكرية المزهقة . ولا يهدف الاسلام ان يخرج الانسان من صفاته البشرية ويضعه موضع الملاك المصوب المجد . وليس الاسلام نظاما يبقى فى السماء ويدير شئون الارض من هناك . ان الاسلام نزل من السماء الى الارض فدخل بين الناس واختلط بهم . والتفسير العلمى لهذا الامر : ان الاسلام دين ونظام ، قد أنزلت أسسه ومبادئه وأحكامه الاصولية من طرف الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم . وكذلك قد أعطى الله تعالى حق التفسير والتوضيح صراحة وديننا لمحمد صلى الله عليه وسلم المحتفظ بالصفات البشرية .

وهكذا قد أنزل الله تعالى دينه على نبيه الذى هو واحد من البشر ، وأعطى له حق التفسير والتأويل فأدخل بذلك العنصر البشرى فى بناء الدين واقامة مراحه . وقد عود الرسول صلى الله عليه وسلم على الناس فى حياته على تفسير أسس الدين وتأويلها ، مثلما كان يفعل هو .

وقد اعترف الرسول ( ص ) بحق الاجتهاد لمن كان حوله من أصحابه وطبق ذلك فى حياته . ان الاسلام يمكن أن يطبق فى كل زمان ومكان ، وهذه المرونة من الاسلام قد حمل الانسان مهمة عمل الاجتهاد . والاجتهاد يعتمد على صلاحية تطبيق الانسان فكره ونظيره للامور والظروف التى تحيط به . ومجال الاجتهاد فى الاسلام واسع جدا ، وهو فى قوة الاستيعاب لكل العصور والمجتمعات . ومبدأ الاجتهاد هو الذى يجدد للاسلام حيويته ودوامه . ويصح أن يسمى هذا المبدأ بمؤسسة الاجتهاد . والذى يحفظ حيوية الاسلام ويجعل الانسان فى كل آن والمجتمع فى كل ظرف من الظروف متصلا بالاسلام وواقعا على حكمه هو الاجتهاد أى العمل الفكرى . والذى يربط المسلم بالحياة والحق هو العمل الفكرى والدماغ ، وارسال النبى صلى الله عليه وسلم السفراء الى البلاد الأخرى وسعيه فى تبليغ الاسلام الى هذه البلاد على لسان هؤلاء السفراء هو من اجتهاد الرسول نفسه . ومحاربة أبى بكر رضى الله عنه الممتنعين عن دفع الزكاة نتيجة لاجتهاده هو ولفهمه الخاص ، وفى ذات الوقت ارساله الجيوش الى الأطراف ما هو الا عمل من أعمال الاجتهاد .

وعزل عمر بن الخطاب رضى الله عنه خالد بن الوليد من قيادة الجيش العامة ، واجتهاداته فى توزيع الاراضي العراقية للشعب انما هى امثلة ونماذج تدل على ان الاسلام - راعى ظروف الحياة واجكامها ويساعد على تحقيقها .

ويمكن الاكثار من الامثلة المتشابهة فى هذا الباب على مدى التاريخ . ولكن لا توجد لدينا معلومات كافية بشأن تاثير وفوائد كل تلك الاجتهادات على أيامها وفى أزمانها . الا انه من الثابت ان بعض الاجتهادات قد بذلت تظهور أثرها فيما بعد فى الأيام الأخيرة وهذه الواقعة ملفوسة . ومنذكر أربعة من النماذج من الحقوق المتعلقة بالأمرة توضيحاً وتأييداً للنقولة .

١ - فى الحقوق المتعلقة بالأسرة فى الاسلام كان الزوج يمكن له أن يطلق زوجته ثلاث مرات ثم يردها الى عصمته حسب ما جاء فى القرآن . وبعد التطليقة الثالثة لا يجوز للزوج أن يرد زوجته الا اذا تزوجت المطلقة برجل آخر ثم طلقت منه أيضا فى ظروف وشروط طبيعية موافقة للشريعة ، عندئذ يؤذن لها أن يتزوجها مرة أخرى زواجا شرعيا .

وقد ظهر فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه من ينطق بالتطليقات الثلاثة مرة واحدة وفى آن واحد تحت تأثير الشعور بالانتقام من زوجته . وقد عد عمر هذا النوع من الطلاق الذى يعتبر فى الاصل تطليقة واحدة . عده ثلاث تطليقات ، وطبقه على من كان ينطق بالثلاثة فى آن واحد . وقد أراد الخليفة من هذا الاجراء أن يردع الناس ويجعلهم يتخلون عن نطق التطليقات الثلاثة فى آن واحد . غير اننا لا نعرف الى أى حد وفق الخليفة فى البلوغ الى الغاية بهذا الاجراء . والذى نعرفه هو أن هذا الاجراء - الذى انتقل الى أيامنا نحن - كان سببا فى ظهور كوارث اسرية كثيرة استمرت حتى أيامنا هذه ، ووقع به شرف كثير من البيوت تحت الأقدام ، كما أفسح هذا الاجراء الطريق أمام البدعة المشنومة التى تسمى ( الحلة ) وعلى الرغم من أن ابن تيمية وبعض العلماء قد تصدوا بالاعتراض على هذا الاجراء الا انه لم يمكن الغاء تطبيقه أو ازالته . وفى تركيا مازالت هذه الطريقة فى الطلاق جارية الى اليوم بين العامة من الشعب والخاصة من المتعلمين فيوجد منهم كثيرون يطلقون زوجاتهم بلفظ الثلاثة فى آن واحد وبصورة تسد جميع منافذ الامكان فى استرداد الزوجة الى بيت الزوجية مرة أخرى مع ان هذه الطريقة قد ألغيت بالطرق القانونية فى المحاكم منذ خمسين عاما فى تركيا . ومن أجل الغاء حكم اجتهادى له جذوره التاريخية فلا بد من التحدث عن اقتضائه فى بداية الامر ، ثم نتحدث عن الفوائد والاضرار التى نتجت عن تطبيقه خلال مراحل

التاريخ التي مرت . وهذا يسهل الطريق الى تبني الحكم الجديد ويعجل بظهوره .

ب - فى رأى غالبية الأئمة السنيين يقع الطلاق عند تلفظ كلمة الطلاق سواء اقتضى الموقف نطقها أم لم يقتض ، وفى أية مناسبة كانت . فما دام الرجل الزوج نطق بها فإن زوجته تكون طالقاً لا محالة . وهذا ما يجرى تطبيقه اليوم بين الشعب . وهذا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمشكلة التى سبق أن أوضحناها فى مادة ( ١ ) ، مع أن هذا حكم اجتهادى ثبت خطؤه من نواحى كثيرة :

الأولى : بينما يشترط اثناء عقد الزواج أن يشهد العقد شاهدان وأن يعلم عنه ، يرفع اشتراط شهادة شاهدين فى الطلاق . واقتضاء اشتراط شهادة شاهدين فى عقد الزواج موجود فى الطلاق بدرجة أقوى . والأهم من ذلك أن اشتراط شهادة شاهدين فى عقد النكاح ثابت بالحديث ، أما اشتراط ذلك فى الطلاق فثابت بالقرآن ( الطلاق ) . ولكن الآية أولت ، فعم حكم الاجتهاد وأهملت الآية حكمها . وهذا بات سبباً فى وقوع كثير من الطلاق بشكل غير طبيعى وبدرجة متزايدة ، بل تسبب فى وقوع الطلاق الذى لم يكن الزوج فى النهاية يرغب فيه . كما تسبب فى ظهور مجموعة من الحيل واللاعيب . إن هذا الحكم لم يبلغ حتى الآن بينما الآية الكريمة موجودة بين أيدينا .

الثانية : انه بينما يشترط اثناء عقد الزواج أخذ رضا المرأة قبلها يلتفت أو يصغى الى دفاع المرأة اثناء الطلاق . بل لا تساعل ولا يكون عندها خبر بأنها طلقت . لنفرض أن المجتهد وهو يضع هذا الحكم وسط ظروفه الخاصة ومن خلال فهمه الخاص - كان قد قام بمثل هذا الاجتهاد تحت تأثير حالة نفسية معينة فما معنى ابقاء هذا الحكم هذه المدة الطويلة كلها :

الثالثة : ان الرسول صلى الله عليه وسلم ابطل طلاق ابن عمر  
بن الخطاب رضي الله عنه لزوجته وهى حائض . وقد قبل المجتهدون  
وقوع مثل هذا الطلاق وطبقوه وهو مخالف للسنة .

ج - قد أعطيت المرأة فى القرآن والحديث حق تطليق نفسها  
من زوجها ( الخلع ) . ومع ذلك فقد وضعت المذاهب أمام حق المرأة  
هذا عراقيل وصعوبات كثيرة بحيث أصبح تطبيق الحكم المتعلق به  
غير ممكن . وهذا الموضوع يسبب الكثير من وقوع الالام الكبيرة  
والكوارث الاسرية الضخمة .

أما نظرية : أن الطلاق من حق الرجل وعائد اليه ، هذه النظرية  
لا تستند عندنا الى دليل قوى أيضا . ولا يمكن اتخاذ كون الخطاب فى  
القرآن موجها الى الرجل ، أساسا فى الموضوع . اذا صح ذلك فان جميع  
أساليب الخطاب ، سواء كان أمرا أو نهيا ، من المعلوم قد ورد بصيغة  
المذكر . اذن فى هذه الحالة هل نعتبر ذلك بعدم ورود خطاب للنساء  
أنهن بقين خارج دائرة الخطاب . وانهن غير مخاطبات بالامر والنهى  
وان الامر والنهى غير موجّهين اليهن ؟

وليس فى إمكان أحد أن يقول بهذا . وعليه فان دليل التفريق بين  
الرجل والمرأة فى مسألة الطلاق لا ينبغى أن يكون دليلا قويا . والحق  
أن ذلك يعد اجتهادا يعتمد أساسا على تعامل انتقل عبر الأجيال تحت  
تأثير العادات والتقاليد والبيئات ومكانة الرجل فى المجتمع القديم فى  
بناء الاسرة . وعندما يوجد اجتهاد فان وجوده لا يحول دون اجتهاد  
آخر مثله .

د - وتوجد هناك مشكلة فى الميراث وهى مشكلة المحروم بالجد  
( المحجوب بالجد ) وهو : اذا كان للرجل عدة أولاد ومات واحد منهم  
قبله ، فعندما يموت هو نفسه فان أولاد ابنه الذى مات قبله ينتقلون فى

القرابة التي كان اليهم الميت تلقاها ، فلا يستطيعون بذلك أن يأخذوا  
من جدهم (الأكبر) شيئا من الإرث ويكون أعمامهم أقرب إلى من  
يموت منهم فانهم ( أى أعمامهم ) يمتنعون من الحصول على الميراث  
ويسمى هذا المحروم بالجد ( أى المحجوب بالجد ) . ولما لوحظ أن  
هذا الحكم يكون سببا فى كثير من المظالم ، فقد ذهب المذهب المالكي  
بوجه خاص إلى اجتهد يصح الوضع فاخرج حكما يسمى بالوصية  
الواجبة . فأصبح بذلك الجد مسئولا عن عمل وصية من جزء من الميراث  
الذى ينتقل من والدهم . وفى حالة امتناع الجد عن عمل هذه الوصية  
يعتبر أن الوصية معمولا بها فيطبق الحكم من تلقاء نفسه .

ونحن قمنا بتدقيق هذه المشكلة ، فوجدنا أن هذا حكم اجتهدى  
مستنبط يعتمد على الادعاء الذى يقول : أن كلمة ( ولد ) فى آية الوصية  
الواجبة المستحقة للمحجوب بالجد لم يقصد بها الحفيد ولكن قصد بها  
ابنه هو نفسه . إذن قلوا أقيم اجتهد يجعل كلمة ( ولد ) تشمل الحفيد  
أيضا لحلت المشكلة حلا جذريا . وفى هذه الحالة لا تبقى ثمة حاجة  
للوصية الواجبة . والله تعالى أعلى وأعلم .

دكتور حسين آتاي

عميد كلية اللاهيات/جامعة أنقرة